نصوص

- سميح القاسم
- سلمان داود محمد
- عبد الناصر صالح
- خالد مطاوع
- سعيد ياسف
- عمر شبلي
- كفاح فنّي

سيرة بني سميح
(سَرْبِيّة)

سميح القاسم

(لأبي محمد سميح بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسين آل حسين)

لأن الفتى أوّلُ القادمين إلى الأرضِ من كوكب الحَسَرات القديمهْ
وآخرُ من أبصر المجرمين ووجهَ القتيل، قُبيل ارتكاب الجريمهْ.
لأن الفتى بذرةٌ دحرجتْها العواصفُ بين رمالِ الصحارى بلا مطرٍ أو غمام
سوى ما تبخَّر بين «الدَّخولِ» و «حَوْمَلِ» عصرِ الكلام
يصيحُ: قطعتُ صَلاتي
قطعتُ صلاتي
وهذا دخانُ دمي، لا دخانُ السجائرِ، ينسلُّ من رئتيَّ ومن حاجبيَّ ومن شعر رأسي. ولا شيءَ بين أصابع يُمنايَ إلا قليلُ من الماءِ. بين أصابعِ يمنايَ ماءٌ أخطُّ به سيرةَ النار. ظِلُّ البخارِ تضاريسُ وجهي.

*

لأن الفتى ميِّتٌ في الحياةِ وحيٌّ على الموتِ صاحَ: ألا أيها الناسُ لا تأخذوا حكمةً من فمي
يبايعني الحبُّ مجنونكم
أَجَل.. إنّما حكمتي في دمي
خذوا حكمتي من دمي
وهذا دمي نازفٌ زاحفٌ من حريق البساتين مكتنزاً بالندى والثمار

خذوا حكمتي من دمي..
ولا تعبأوا بالكلام السمين، قصارى الكلامِ السمينِ هواءُ المنافيخِ، ريشُ الكلام السمينِ امتلاءُ الوسائدْ
وأقصى الكلامِ السمين صدىً للكلامِ، و«كوللسترول» القصائدْ
وبعضُ الكلام السمين فضائيةٌ يبعثُ اليأسُ عنقاءَها من رمادِ الجرائدْ
خذوا حكمتي من دمي..

*

لأن الفتى «أزرقُ النَّسرِ» كان له أن يرى ما رأى
وأن يفتح المغلقَ المُرجَأَ
وأن يقرأَ..
هنا يكشفُ الموتُ أوراقَهُ في وضوحِ الحياةْ
هنا تتعرّى الجهاتْ
ويجتهد الوقتُ كي يبدأَ..
بعيداً عن الخُطَبِ الموسمية والصيغِ المنتقاةْ
هنا يفتح الموتُ أبوابَه ليُطلَّ اليتامى على يتمهم في الحياةِ
ويكتشفوا أفقَها المطفأَ..
هنا تستعير الجريمة وجهَ البطولهْ
وأطفالُنا يكبرون، إذا ولدوا، يكبرون بأسرعَ مما تشاءُ الطفولهْ
لنا الحزنُ في سهرةِ العرسِ. طقسُ الحلاقة طقسُ البكاءِ وحنّاؤنا الرقصةُ المستحيلهْ
وقهوتنا في الصباحِ على شرفةِ البيتِ بعضُ الخطايا
وإجهاضُ زوجاتنا النازفاتِ على الحاجز العسكريِّ المعقَّم، كلُّ الفضيلهْ
وُلدنا- كما يحدسُ القلبُ- في خطأٍ مطبعيٍّ على ورقِ الريحِ في ليلةٍ أنكرتها التقاويمُ نحنُ وُلدنا قرابينَ كلِّ المعابدِ. فينا اكتمال الطقوس الوجيهةِ في حضرة الموتِ. يا موتُ هل كنتَ من أجلنا أم وُلدنا لأجلكْ
ويا موتُ. نطفئُنا أنتَ أم أننا بعضُ أهلكْ؟
ويا موتُ جرِّب نجاعتنا في الحياة قليلاً، إذا أنتَ أمهلتنا سنكرِّسُ لاسمك كلّ الجوارحْ
ونكتبُ باسمك أحلى المدائحْ
تمهَّلْ.
لعلَّ الحياةَ قليلاً لأجلكَ أرقى وأنقى وأجملْ

تمهَّل. تمهَّلْ.
تُشاكسُ أوقاتَنا ساعةُ الصِّفر. تمسخُنا دُميةً.
و«ولت ديزني» يسوّقنا في ملاهيهِ ما بين ساعة صفرٍ وأُخرى
تحلُّ وترحلُ في نزوةٍ ضيِّقهْ
بلا موعدٍ. ساعةُ الصِّفر جنِّيَّةٌ لا تروَّضُ. كنا سنبدأُ
من ساعة الصفر لو أسعفتْ وقتنا في اختباراته المقلقهْ
تُشاكسُنا. إنما وقتُنا لم يزلْ جاهزاً للغموضِ. وفي غفلةٍ منهُ تنزو الطيورُ الأبابيلُ. تنزو على ناطحات السحابِ
دمارٌ. ونارٌ. وقتلى الفُجاءات. قتلى جزافاً.
طيورٌ سديميّةٌ من ركام التواريخِ تُقبلُ مشحونةً
بالغضبْ.
وقتلى بسرِّ اللهبْ
وساعةُ صفرٍ مُشاكسةٌ في الحصارِ. تحلُّ وترحلُ
من نزوةٍ ضيّقهْ
إلى نزوةٍ ضيّقهْ
وتفتحُ أبوابَها المغلقهْ..

*

هنا موسم الصيد. أنتَ الطريدةُ يوماً. وصيّادُها
أنت يوماً. لُهاثُك حُمّى الحياة وفاتحة الموتِ.
تسألُ نفسك سرّاً وجهراً: متى؟ ولماذا؟ وكيفَ؟
وأين؟
وتُهوي الإجاباتُ ما بين بين..
هنا موسم الصيد. تَقتُل. تُقتَلُ. تعفو وتنجو
وتفتحُ باباً وتوصدُ باباً. وتجري مياهك تجري
دماؤك هل عدت نهراً بدونِ مَصَبٍّ؟ لعلَّك
معجزةٌ دون جدوى، لعلك لغز عصيٌّ على
الحلِّ. تفتحُ باباً وتوصدُ باباً، وتهوي بقبضتك
الغاضبهْ
على بابِ مملكة الله تهوي بقبضتك الغاضبهْ

لتوقظ قلب السماء وشمسَ عدالتها الغاربة..
تفجَّر
تفجَّر
كبيرٌ حصارُك. والحقُّ أكبر
كبيرٌ عذابك. والله أكبر
تفجَّر..

*

غرسنا، وقد غرسوا فأكلنا، غرسنا ويأكلُ «داڤيدُ» لا بأس، يأكُلُ «داڤيدُ» من غرسنا ما نشاءُ.
لـ«بتشيڤع» الآن زوجٌ شديدُ المراس. «أورِيّا» القديمُ اختفى والكتابُ القديم احتفى.
وكفى. ما أنا من سلالة «ناڤالَ»، لا «أڤيچايل» في هذه العائلة
غرسنا. وتأكلُ جرّافةُ الموتِ، لا بأسَ أطولُ من شهوةِ الموتِ أشجارنا العاقلة
وما أنا من نسل «حيرام» يا نسلَ «داڤيد». لا أرزَ عندي ولا يحزنون.
وما كانَ وهم الأساطيرِ لا لن يكون ولا لن يكون..
فماذا إذن تطلبون؟
أريحا الجديدةُ لم تمتثلْ لتُعدَّ المراثي الجديدهْ
لأسوارها كبرياءُ الرُّخامِ ومجدُ العقيدهْ
وجمرُ القصيدهْ
وشمسُ أريحا تغيبُ كما تشتهي «أورُسالمْ»
وشعبُ أريحا يقاومْ
وعشبُ أريحا يقاومْ
وقلبُ أريحا يُعدُّ زجاجاته الحارقة
وقبضتَهُ الواثقة
وصوتُ أريحا يدوّي: «يَشوَعُ بن نونَ» دونَكَ «راحابُ» خذها كما تشتهي
وخذها كما تشتهي
إلى كهف أحْلامها الزانية
وأَوصدْ عليكَ وأوصِد عليها
بصخرةِ أحلامك الدامية ..

*

قليلٌ هو الماءُ. لم يبقَ إلا القليلُ وضاق المدى والكلأْ
إلى أين يمضي دمي بلواعج أبنائه الجامحين
وما من مواسمَ ما من ثمارٍ وما من طحين
ولا شيء إلا الظمأْ
ووجهُ السماءِ الحزين
إلى أين يمضي بأشلاءِ صبرا وصبر شاتيلا وسخط جنين
إلى أين يمضي؟!

*

إلى نجمةِ الصبح – قالت له صورةٌ عائليَّهْ
تمزّقُها الرِيحُ ليلاً نهاراً وتنثُرها للجهات القصيّهْ
إلى نجمةِ الصبحِ في مطلع الجرحِ – قالت جنازير
دبّابة الفاتحين
وقالت له نحلة الدمِّ في عَسَل الصابرين
وقالت نساءُ العذاب وقالَ رجالُ الحنين
وقالت ليالي السجون
وقالَ جنونُ الجنون..

*

من الحُلم تحت ظلال النخيلْ
وشوقِ المهاة لماءٍ قليلْ
من الخيل والليل والبيد والشمس. من لبن النوقِ والتمرِ
والشعرِ. من وجدِ «قيسٍ» وحرمانِ «ليلى» وخوف
«بثينَة» زندَيْ «جميلْ»
من الله صلّى وسلَّمْ
على خاتم الأنبياء
ومن بئر «زمزم»
إلى عبقر الكيمياء
ومفتاح باب السماء

تطلُّ الوجوه وتخفى الوجوهُ
ويجمح في الأرض قلبُ الفتى
ويرمحُ فيها بنوهُ
ويشهقُ «أطلسُ» بين شعافِ «الجليلْ»
ويقتربُ المستحيلْ
جواداً وفارسْ
ومئذنةً – جرسيَّه
وقدّيسةً مقدسيّه
وبيتاً وحارسْ ..

*

يهيجُ الغرامُ ويأتي الوحامُ وتمضي الحياةْ
فتىً يدّعيه فراعنة النيل جذعاً وفرعاً
ويعلو إليه ملوك الفراتْ
وأُمُّ اللغاتْ
يُهلّل للغَرْس حيّاً وتغتالُ أشجاره زوبعه
وحيّاً يُميطُ لثامَ الحياة وتكثُرُ في موته الأقنعه
وتُلحفُ نكبتُه بالسؤال. فأين إجابتُهُ المقنعه؟
فتىً عاقلٌ في الجنون
وممتلئٌ بالشكوكِ ومحتشدٌ باليقين
على كاهليه همومُ الزمانِ
وفي راحتيه زهورُ الأغاني
وفي قلبهِ صومعه!

*

تزوَّج «جان دارك» في الحُلم. قال لها: جان دارك! أنا سپارتاكوس من بلاد الأعاريب. أهلي عبيد النظام الجديد وكانوا عبيد النظام القديم..
وأشهرتُ حرّيتي في الحياة على سنّةِ الموت أشهرتُ حرّيتي إنما زوَّجوني لطاعتهم. «جان دارك» خذيني زوجاً وأقسمُ بي أفتديك بمهرِ الشهادة. قالت له: قرَّ عيناً فإنّيَ زوَّجتُك الآن نفسيَ لكنَّ هذا الحجابَ ثقيلٌ. وضوء النهارِ قليلٌ، وما نفعلُ الآن غير الرحيل من الأطلس المستباح إلى

الجرمقِ المستباحِ إلى نخلةٍ دمها نازفٌ في رمادِ العراق؟
طلبتَ يدي. «سپارتاكوس» من بلاد الأعاريب. زوّجتُك الآن نفسي لكنَّ هذا الحجاب ثقيلٌ.. وحرّيتي
لا تطيق وأنشوطتي لا تطاق
فما نفعل الآن غير.. الطلاق؟!
وأمضي لمشنقتي أو لناري.. وتمضي كما يشتهي النزفُ فوق شظايا الزجاج
«ألور.. بون ڤوياج»
«سپارتاكوس» من بلاد الأعاريب
خذ قبلةً.. «بون ڤوياج»..
وواصل نزيفك واصل نزيفك فوق شظايا الزجاج

*

وحيداً، بعيداً
على الجمر يمشي ثقيل الخطى قابضاً جَمْرَهُ
ومختصراً عُمرَهُ
ظلامُ المدى دامسُ
وقلبُ الفتى عابسُ
وفي كفِّه غُصنُ زيتونةٍ يابسُ
على سُنّةِ الشهداءِ القدامى يقيم الصلاه
وينهضُ من موته الحيِّ ممتلئاً بالحياه
ويصرخُ في ألفِ شرقٍ وفي ألفِ غربِ
لماذا؟
لماذا تحاصر نار الغزاه
سنابل قلبي
وبستانَ حبي
لماذا؟!

*

على غيمةٍ لا تُقيمْ
أقام .. وجاب بلاد الصدى والسُّدى والسديمْ
على وجهه مِسحةٌ من نبيٍّ قديمْ

أقام.. وما من إقامه
وأجّل حفل الزفافِ
وأجّل يومَ القطافِ
لعلَّ المواعيد تسخو.. بيوم القيامه..

*

جميلٌ على صورةِ الله. حيٌّ يحرِّك قلبَ الجماد
من الناسِ ناسوتُه. لم يطاول ملائكةَ الله، لم
يدَّعِ الحكمةَ الأزليَّة. دارت به الأرضُ جيلاً فجيلاً.
بلادٌ تطوِّحُهُ في بلاد
وعاشَرَ كلَّ العباد
وآمن أن الحياة محبَّه
وأن الصلاةَ محبّهْ
وأن القضاءَ يُحبُّ القَدَرْ
وآمن أن القَدَرْ
يُحبُّ الشجر
وأنَّ الشجر
يحبُّ الحَجَرْ
وآمن أن المطر
يحبُّ جميع البشر
وأدرك أن الظمأ
له وحدَهُ.. فانكفأ
ولكنه ما انطفأ
من الماءِ جاء وجاءوا وعادوا إلى الماءِ. كانوا قبائل صاروا
شعوباً. تَعارفَ بعضٌ ببعضٍ. وكرَّم ربُّ الحياةِ
سلالاتهم بالتقى والطهاره
وصاروا حضاره
تؤاخي حضاره
وعادوا حقاره
تعادي حقاره

وما من سنونوّة للربيعِ
وما من ربيعٍ وما من بشاره ..

*

من الماءِ جاءوا، وعادوا إلى الماءِ. عادوا
قبائل. عادوا شعوباً
تعادي شعوباً
وعادوا من القادسيّة
ومن عين جالوت.. عادوا
لداحسهم ولغبرائهم والحياض الشقيّة
وعادوا من الكيمياء
إلى كربلاء
ومن ثورة الأنبياء
إلى الجاهلية
وعاقب ربُّ الحياةِ سلالاتِهم بالهلاك
أما من ملاك؟ أما من ملاك؟
أما من رسالهٍ؟
تُعيدُ بهاء السُّلاله
أما من سماءٍ تَراك
أما من شهيدٍ سواكَ.. أما من شهيدٍ سواك؟!

*

تُمجّدهُ صيحة الوجدِ مكتسياً بدماء الولادةِ. بدءُ
الحليب على شفتيه وفي محجريه دموع الصبابةِ: يا ربّ
شكراً جزيلاً لأنك توّجتني ملك الحزن. فضلُك تاجي
ونعمتك الصولجانْ
ولكنني راغبٌ في كَفاف الرعيّةِ.
عندي قليلٌ من العُمر. يَكفي قليلٌ من الحزنِ. يا ربّ. حسبي الكؤوس التي أترعتْني
يقيناً وشكاً. وحزناً وحزناً. أزحْ هذه الكأسَ عني

وهذا العذاب وهذا السراب وهذا الهوانْ.
إلهي الذي في السماء وفي الأرضِ. أُشهر ضعفي
وخوفي. وأشهدُ أنّي أُحبك لاسمكَ أنتَ ووجهكَ
أنت. ألا اشهَدْ بأني أحبك لاسمكَ أنت ووجهك
أنت. ولا اسمَ ولا وجه لي في رحابِكْ
ولا بابَ لي دونَ بابكْ
وما من حضورٍ يجسّدني في غيابكْ
إلهيَ آمنتُ فاعلَمْ
وآمنتُ.. فارحَمْ
وآمنتُ فاسمع دعائي وبسِّر عليّ بعُسر جوابكْ
وأرضى بكل عقابكْ
وبعض ثوابكَ.. بعضِ ثوابكَ
أرضى ببعض ثوابكْ!

*

متى يصبح الوردُ ورداً ويُعفى البلاستيكُ من مهنةِ العطرِ؟
كيفَ يعودُ ابن آدم يضحك من قلبهِ؟ وتُشيح
العيون عن الأدمع الإصطناعيةِ؟ الأوجهُ المستعارةُ
ما شأنُها والحياةْ؟
ومن ذا يخلِّص خطو المواليد من ظُلم بوصلةٍ للجهات؟
ومن يُعتق الحُلم من صيغةِ «التكنولوجيا» ويعطي البساطةَ
معنىً بسيطاً بلا حرفة الغوصِ في الفلسفاتْ؟
متى يصبح الحقُّ حقاً وتعفى العدالة من مهنة الزورِ؟
كيف السبيلُ لكي يصبح الوردُ والحقُّ روحَ التحية بين الخلائق؟ هل
تستعيد بديهتها الكائناتْ؟
وتنسى القواميسَ كلُّ اللغاتْ؟

*

على جثتي يندفُ الثلجُ. في محجريَّ ملاذ النِّمالِ. تجوب
السحاليُّ تجويفَ عَظمي. شعارُ القراصنةِ الغُبر جُمجمتي.
يُشهرون سلام الحروب وهم يشهرون حروب السلام وتحت جنازيرهم جثتي
ومن محنتي
أُخاطب قبرَكَ يا والدي يا صديقَ عذابي ويُتمي
أتى الحزنُ ليلاً عليكَ وليلاً على قلبِ أمّي
ويأتي عليّ
وما في يديّ
سوى قيد جسمي وحُلمي..
ويندفُ ثلجٌ على جثتي
ويندفُ لحمي على أُمتي
ويندفُ نسلي على الكون ثلجاً
متى توقظُ النار في نُطفتي؟
أعيشُ لعمرٍ قصيرٍ
وموتٍ بعيد النظرْ
وأعلمُ أن البدايةَ عشبٌ قصيرٌ يوزّع عبرته في أعالي الشجرْ
وتعلم أن الهجيرة بدءُ المطرْ
وأن كلام التراب امتدادٌ لصمت الحجرْ
وأن الحريق صدىً للشررْ
وأُدرك أن خلاصيَ بعضٌ من المعضله
وأعلمُ كيف أموتُ.. وأحيا وأوغل في شَرَك الأسئله
لمن هذه الأرضُ قبلي وبعدي؟
وبعد حفيدي
ومن قبل جدّي؟
لمن هذه الأرضُ؟. لله، نمضي ويبقى
ويوغلُ في الموت «جلجامشُ» المستميتُ حياةً،
يعيشُ ويشقى
يموتُ ويشقى
ونوغل في الأرضِ أُفقاً فأفقا
نعيشُ ونشقى
نموتُ ونشقى

ورو حٌ على الغمر يطفو
وجوعٌ وخوفُ
ولا الجرحُ يغفو ولا الموتُ يعفو
ومن ألفِ ليلٍ وليلٍ قديم
ومن ألف موتٍ على طرقات الجحيم
جَناحٌ يَدفٌّ
وصوتٌ يشقُّ السديم:
أنا أول القادمين
إلى هذه الأرضِ.. من كوكب الحسرات القديمه
وآخر من أبصر المجرمين
ووجهَ القتيل قُبيل ارتكاب الجريمه
أنا قلبُ «فينيقَ» ينهضُ من قلبِ هذا الرماد
ومن قلب هذا السواد وهذا الحِداد
وفي روحِهِ صورةٌ للبلادِ.. كما يشتهي أن تكونَ البلاد
أنا قلبُ «فَينيق» قلتُ لهمَ ما أقولُ
خذوا خمرَكم من دمي
ومن جسدي خبزَكم
خذوا ما يزولُ
وتبقى حياةٌ وتبقى فصولُ
أنا أوّل المعضله
أنا آخرُ المعضله
أعِدّوا صليباً يليقُ بلحمي الضعيفِ وحُلمي القويِّ
أعِدّوا صليبي لأصعد حرّاً
أناَ سيِّدُ الجُلجُله
أعدّوا صليبيَ من خشب السنديانْ
ومن غضبِ العنفوانْ
أعدّوا صليبي
على شرفةِ الحبِّ في آخر الموتِ يطلعُ وجهُ حبيبي
ويسطعُ وجهُ حبيبي
أعِدّوا صليبي
علَى قبّةِ القدسِ في مشرق الشمسِ

موتي وبعثي
وموتي ووجهُ حبيبي
أنا سيّد الجُلجله
أعدوا صليبي
أعدوا صليبي
أعدّوا صليبي
أعدّوا...

(2002/4/15)

"أنتَ" بكسر العين

سلمان داود محمد*

برفقٍ لئيم
تقرصُ الوالدَ من سوسنِ الوَلَد
وتشنُّ العباءاتِ على ساحةٍ هاشمية
ممتعضاً من بسَمةٍ تركتْها التماثيلُ على انصياعي
راسخاً .. تزجُ المخَلصينَ في خاتمِ الهباء
وتغدقُ بالآلاء على الصغائر ...
تنامُ ملءَ ضحاياي
حتى استكثرتَ على الدموعِ التماسَ الرطوبة
بلا أسف تهذي عُطلاً في مستهلِ الثواب
بينما البسملات زجاجٌ يبرقعُ الخلَل،
وترى كومةَ ترحيبٍ لكَ في ذمتي
فـ «مرحى» لسواك
و«سهلاً» يجهلهُ حاسوبكَ العليم ...
إذن
سألخصُ مثوى لجلالٍ أرضَعْتهُ السبايا
وأستطردُ: سُبـ .. حا .. لكَ
أشباهُك – سهوٌ – يدبغُ المتضررينَ بـ « ✓ » كذوب
وأشباهي – حزمةُ صبيان – في مقتبلِ الـ «فاو» (1) تماماً
ها هُم
يردونَ الفردوسَ بأكملهِ إليكَ

ويهمسون:
- كُفَّ عن الشخيرِ .. نريدُ أن ننام ..
صرتَ الرحيم بلا استشارة من جيوبي
والكريمُ على نحوٍ .. تلاحُقني الضرائب
ها أنت ذا ..،
شريكيَّ زوراً في ارتكابِ «العراق»
أي .. حصتي قملةٌ في صلعةِ الشريف
وإرثكَ في الصفقةِ
ما فقدناهُ في معدةِ البندقية
فيا واهبَ الإناثِ غيابَ الفلذات
ورازقَ الذكورِ نتوءاً في الوسط
تنرجسْ كيفما تشاء
- ادحضْ ما توهجَ في كربلاءِ العجين
واردمْ حُفَرَ الأفواهِ بجثمانِ الوعود ...
- اشجبْ رقصتي في مدفنِ المعجزة
وبارك الرفعةَ بعراءٍ فضفاض ...
- أتلف المحبةَ بازدراء شجي
ودعِ الرضابَ لإخماد الحرائق ...
- زنِ الحمصَ بأبي هريرة
وارزمِ الوجوهَ بأغصانِ الضنك ...
- اشملْ برضاكَ أباطرةَ الخلف
واطعنْ ظهيرتي بسؤالك مترنماً:
في أي الكواكبِ تزدهرُ النجاة؟
- في الجنون ..؟
- أم في السويد ..؟
- أم في التهامِ الوصايا ..؟..
سأعولمُ الصيحةَ
متفشياً كالجسرِ بين ضائعين
وأعوي بالـ «رصافة» (2): - يا نجفي(3) ...
فتهطلُ من قعرِ هلالَكَ: - (صَهْ)!!
كأنكَ تكسرُ وجهَ المواثيق
مستنكراً على الزنوجِ بياضَ الخنوع ..، حسناً

لنفضّ انهزامَ الشراكةِ في «ساحة النصر» (4)
ونقتسمَ التركاتِ على عجلٍ في «التاتات» (5)
فاهبط بزنابيلكَ واصغِ:
– لي صحبةٌ مترامية الأشلاء ولكَ القرابين ...
– لي بلبلٌ ممنوعٌ من الصرفِ ولكَ البيادر ...
– لي جمرةٌ تنهقُ في الضَمادَ ولكَ الفياغرا (6)...
– لي – نعمُ – سَوْسَتْ كاهلي ولكَ العاقبة ...
– لي حظٌ يعملُ بالركلات ولكَ الهدايا ...
– لي شبحٌ في مرايا السلامةِ ولكَ الماحي ...
– لي أكثرُ من ريبةٍ في العبيرِ ولكَ الرئات ...
– لي عسرةٌ في نظرةِ الصبي ولكَ الزلال ...
– لي باطلٌ يؤنثُ الحجرَ ولكَ القمم ...
– لي وتدٌ في مخرجِ الكلامِ ولكَ المدائح ...
لقد استرْجَعْتَ الآن عطاياكَ
أسعدتَ كراجاً
وقد أعذر من ينبحُ في دائرةِ الأحوال (7):
– خذووووووووووووووك ...
فلي مسقط رأسٍ في «الميدان» (8) وأنتَ .. بلا ...

*** شاعر عراقي يقيم في بغداد.**

– دليل غير سياحي لقارئ عابر:

(1)الفاو : شبه جزيرة اكتسبت أسطوريتها من وقائعها التي أذهلت الأعداء وأكلت الأصدقاء، تقع في جنوب العراق.

(2) الرصافة : جانب من جوانب بغداد الخرافية، والتي تتراوح بين دلالتين هما: الحاضنة الرحيمة من جهة والمدفن الآمن من جهة أخرى.

(3) يا نجفي : نداء شخصي يحلو لي أن أطلقه كلما اشتدّ القصف الأنكلو – أمريكي على العراق، وكلما دفعتني الظروف اللئيمة إلى مغادرة مسقط رأس الأعالي بغداد، و «يا نجفي» تعبير مستوحى من اسم لمدينة (النجف) التي تحتوي على رحابة فائقة لإيواء أضرحة الأئمة والسدنة والعلماء والجهلة والشهداء واللصوص والحزانى والمنسيين .. الخ وخلاصة ندائي هذا: «يا خلاصي».

(4) ساحة النصر : مكان يتمركز في العاصمة، اتخذته كفسحة لكسر مواثيق الشراكة بين الشخصيتين القابعتين في متن النص..

(5) التاتات : جمع «تاتا» وهي باصات للنقل البشري، تعج بالسخام والأصوات الوقحة والمصائر، اقترحتها كمكان لاقتسام التركات المزمنة بين «أنا» المتكلم و«هو» الآخر، وفقاً لما جاء به النصّ ..

(6) الفياغرا : منشطات جنسية مرخصة من الأساقفة والفقهاء .. والله أعلم ..

(7) دائرة الأحوال : هي سلطة ورقية تدعى «دائرة الأحوال المدنية» والتي لا تحسن اللطف مع مجهولي مكان الولادة وتاريخها ..

(8) الميدان : ساحة أو كراج، بل ملاذ لانتظارات المشردين والموظفين والعتاة والمفكرين والسكارى وأباطرة التعليم الجامعي والعاطلين عن الاكتراث بما يجري .. وغيرهم .. تقع في مركز المدينة ..

وجهُ الغزالة، ماس جدائلها ..

عبد الناصر صالح*

(إلى فارس عودة)

ولدٌ معجزةٌ
عادَ من تحت ظل الصفيحِ
وأودعَ أحلامَهُ غيمة،
وعصافيرَ تعبرُ صوبَ المخيّم
رتبَ أشياءَهُ في الحقيبةِ:
أقلامَهُ
صورةَ الأهلِ،
رائحةَ القمحِ
واجبَهُ المدرسيَّ،
بشاشةَ وجه المعلمِ أو عنفه حين يغضبُ
رهبتهُ حين يفشلُ في حلّ أسئلة الامتحانِ،
وفرحَتَهُ حين يمضي إلى الجائزة.

*

ولدٌ معجزة
يفتح الآن نافذةَ الشمسِ،
حتى تضيء ذؤابَتُها أيكةَ الصدرِ

يبعثُ أُغنيةً للغزالة،
وهي تجوب الزقاق على هَدْي أنفاسهِ
(يتذكرُ :
وجه الغزالةِ مُفتَتَحُ لليراعاتِ
حين يجفُّ الكلامُ،
يسيل الهواءُ دماً صافياً).
يتهيأ للصحوِ
أي الدروبِ سيسلكها دمُهُ؟
أي قنبلةٍ ستفجّر رأسَ الفتى
وتميطُ اللثامَ عن الجرحِ
(والجرحُ أوسعُ من دورة الأرضِ
والقلبُ أكبرُ من لهفة الغائبين؟)
يتهيأ للصحْوِ
قال الفتى وهو ينفضُ أعباءَهُ:
ليس يأخذني النوم من يقظة السيف:
لا وقتَ للنومِ،
لا وقتَ للانتظارِ قليلاً لكي تعبر الحافلاتُ.
عقارب ساعتهِ سوف يدركها الوقت
والأصدقاء – يجيئون
يتجهون إلى أول العمرِ:
راياتُهم
والنشيدُ المؤجلُ
والشجرُ النبعُ والقدسُ والعرسُ
والطفلُ يصعد أدراجَهُ الجاهزةْ.

*

إنه الولد المتمائل في طلعة النجم
والوطنُ – الحلمُ ديْدَنُهُ
عائدٌ من فصولِ الشقاوة

ما ألقت الحربُ أثقالها لينامَ
وما زال سرب الحمامْ
حزيناً على شرفات النوافذِ
يحرسُ قلبَ المدينةِ، يؤنسُ وحشتها
وهي تعبرُ أشرعةً فوق نَقْعِ العواصفِ
أي متاريس يعبرها الطفلُ:
أيّ ميادينَ سوف يعانقُهُ رمْلها؟
أي طلحٍ سيلامسُ أهدابَهُ؟
في أي زاوية سيُعدُّ الكمين؟
تراءى له ظلّه في الحدائق
صوتُ غزالته،
وجهها المتألقُ،
ماسُ جدائلها
شكلُ أصحابه يقطفون الحجارةَ عن شجرِ البرقِ
– لم تكشف الريح أسرارها بعدُ
(فلينكسر خوفه بالغناءِ المضرّج بالشوق
ولينطلق صوته بالصهيل الذي يتوحَّدْ)
أيلول شرُّ المخاضِ
وفاتحةٌ للبهاء الطليقِ ومئذنةُ الضائعين
فأي صلاةٍ يؤدي الفتى
قبل أن تبدأ الأرضُ زلزالها؟
أيّ نشيدٍ سيتلو على تلّةٍ
في حطام البيوت؟
وأي الرسائل سوف يحرّرُ؟
قالت له أمهُ :
هل رأيت على السفح زيتونَنا؟
ذات يومٍ سيكبرُ
ذات نهارٍ ستجري القصائد في النهر،
والسماءُ البعيدةُ هل يعمر البوم أبوابها؟
سوف يعمرها العندليبُ

وتثبتُ أزهارنا الحجريّةُ
أكثرَ من مطرٍ قد يجيءْ.
ولدُ الريح والظمأ - الجوعِ
والبردِ والحرِّ
والكرِّ والفرِّ
والكبرياءْ.
ها هو الآن مستغرقٌ في البهاءْ.
ها هو الآن ينتظر الأصدقاءْ.
يجيئون أسرع من غمضة العينِ،
أعلامُهم
والنشيدُ المؤجلُ :
نكهةُ أسمائهم في الخرائطِ
لهْفَتُهُم لاستباق الخيول إلى موقفِ الحافلات:
هو الآن مُزْدحمُ بالحياةِ
وقد فاز بالجائزةْ.

---

* شاعر فلسطيني يقيم في طولكرم.

ثــلاث قـصـائـــد

خـالـد مـطـاوع*

خـسـوف الإسـمـاعـيـلـيـة

لم يعد عليّ أن أختار الآن بين
الشيخ الطوارقي الذي لم يترك سريره
حتى يأتيه عالمٌ يفسر أحلامه
وبين الفلاحين الذين ملأوا مخداتهم
بأسرار حتى ينسوا ما حلموه.

منذ أيام وأنا أذكر غسقاً شتوياً
جنوب «ويتشاتا»، الشمس معلقة
كأنها ملتصقة بالغيوم
ضوؤها الأحمر كاللهب يملأ السيارة.
بان الضيق على رفيقي،
قال إنّ هذا الضوء يذكره بالليلة
التي أفاق فيها ليجد حجرته تحترق. أردت
أن أعرف كيف ومتى ولكنه ظل صامتاً
واضعاً يديه على وجهه كدرع يحميه
من النور. ما أن وصلنا جبال «الروكيز»
حتى باتت النار حلماً

أصبح من ماضيه.
الجمعة الماضية كنت أول من أفاق
ركبت السيارة لأشتري الجريدة – شوارع القاهرة
فارغة على غير عهدها – سعدت
أن ابدأ يومي مبكراً، شاكراً أن الزحام
الذي قادني إلى حافة الجنون مراراً
لا أثر له يومها. بارتجال
أخذت طريق الإسماعيلية لزيارة واحة
نصحني بها أصدقاء. الطريق
عبر مدينة العاشر من رمضان –
مصانع الثلاجات ومزارع «عالية التقنية».
في القاهرة منذ شهور لم أرَ المدى
وها هو الآن يقسم الصحراء
كأنه توأم النيل.
ساعتان في السيارة – متنقلاً بين
إذاعات سوريا ومصر وإسرائيل
قانعا في آخر الأمر بال «بي بي سي» –
ساعتان ولا أثر لواحة. لا أثر إلا
للمخيمات العسكرية ولتماثيل معوجّة
لصواريخ فضية ولجنود ذوي ابتسامات بلهاء
يلوّحون برايات ورشاشات «الكلاشنكوف»،
الرمال متوهجة حولي كأنها شمس أخرى
فجأة ينفجر المكان بالاخضرار
أشجار «اليوكالبتس» والنخيل
على امتداد طريق خليج السويس
– هو الآن شارع للسواح –
مررت أمام مئات الفيلات؛
أموال نفط، تزمتٌ ديني
و سيارات ألمانية. ثم ظهرت المنتجعات
الرخيصة؛ «ميامي»، «دولسي فيتا»

و «بوسيت». كابينات مائلة
من حجر الأسمنت، رطوبة خانقة وجو قائظ.
الأغنياء وشبه الفقراء يقضون إجازاتهم
على شواطئ ملوثة بالزفت
ويسبحون محاطين بأقواس قزح
من زيوت محركات السفن.
في تلك اللحظة بالذات
وبدون أن أنتبه
وجدت نفسي أمام قناة السويس.

في طفولتي كنت أحلم بحرب الاستنزاف،
بالشهداء يطفون على البحيرات المرّة.
وفي التاسعة من عمري اشتعلت حرب العبور؛
جلست بجانب المذياع أعد طائرات العدو
التي أُسقطت فوق سيناء، مأخوذاً
بأغاني الحرب، ممتصاً كلمات
مفعمة بالإيمان والدم. أبطالي
كانوا الجنود الجزائريون الذين تمركزوا
في بنغازي منتظرين أن يُرسلوا للقتال.
ذات مساء مرت طائرة مقاتلة
تعلو أمتاراً قليلة فوق رؤوسنا
خضّت الأبواب
هزّت النوافذ وشققت زجاجها
دوي الطائرة أغرق كل حواسي إلا يقيني
بأني لست الوحيد الذي ذاق هذا الرعب.
وفي السنين التي تلت كلما ذكرنا الحرب
تذكرنا قريبنا الذي انضم للجزائريين
ليثأر لزوجة قتلها اليهود
في سيناء، والإحباط الذي تبع تلك الأيام:
الجزائريون لم يصلوا إلى الجبهة

بل تسكعوا في أسواق مدينتنا، وتبضّعوا
لأطفالهم ألعاباً، ولزوجاتهم قطعاً من التفتا
والستان وطناجر ومقالي «التيفال».
وقتها عبّرنا عن مرارتنا بأغانٍ تسخر
من الأناشيد التي وعدتنا بجنة
على أرضنا القاحلة. ولم نذكر
أبداً الطائرة وصراخها الوحشي الذي
مزق ستائر عزتنا الواهنة.

بينما كنت بجانب القناة
وبينما انبهاري بهذا المكان
يذوب مثل قطعة ثلج في مقبضي
بدأت الذاكرة تلح على حلّ
لم أستطع حتى الآن أن أستحضره.
بدأ الطريق يضيق - أكتافه تحت التصليح -
فلاحون يفرغون أكياساً من الأسمنت
و دلاء ماء، و ركاب ورعون
يسرعون ليسمعوا آخر أدعية الخطيب.
في تلك اللحظة، ودون أن أنتبه، انتهت القناة.

ثم الإسماعيلية، مضروبة بالشمس، هلّت
ببيوت المستعمرين القدامى غائرة في الظل.
قيل لي: في إحدى هذه القصور قضت
الملكة «فكتوريا» أيام احتفال
فتح القناة، من شرفتها رأت
السفينة الأولى (بنادق وتبغ متجهة إلى مدراس)
تعبر البحر الأحمر، بضع خطوات من «فيردي»
وهو يجري آخر تمارين «عايدة».
لم تصدق من هذه المعلومات إلا محتويات السفينة.
«فيردي» مرض حين وصل، لم يشارك في التمارين

و «فكتوريا» لم تأتِ هنا، قط.
القصر الذي بناه الخديوي لاستضافتها
سكنته ملكة أوروبية قليلة القدر.

توقفت عند مقهى مطلي بالجير
بالقرب من الميناء، مئات الحاويات
تطفو بجانبي ومن الطاولات القريبة
سمعت أحاديثا بالسواحلية والفرنسية واليابانية.
لائحة الأطعمة «تقدم وجبات على حسب
الذوق العالمي»، والمكان تطغى عليه صبغة
محلية «طبقاً لمخططات الاستثمار الدولية».

ماذا أصنع بهذا المكان الآن؛
الماضي يظهر فجأة مقنّعاً بحلم يقظة
ليثبت لا نهائيته وأهمية تفاصيله المملة
كعلبة الكبريت التي أحتفظ بها
من مطعم في ضواحي و«يتشاتا».
و الحاضر الذي لا يوحي إلا
بالحيرة والتذكارات الحزينة؟
شاهدت الشمس تنزل من سماء مشمشية
إلى المياه السوداء، وتذكرت ما قاله رفيقي
بعد خروجه من السجن : «ثمان سنين
من أجل تنهيدة في تقرير للمخابرات».
أخبرني أنه في الاعتقال حارب آلامه بالنوم
و سجّل بدقة كل أحلامه،
والآن، وهو في الخارج، يفتقد تلك الحرية وذلك الاتساع.
قال رفيقي حكايته كنصيحة لأضيفها
للفلاحين وللزعيم الطوارقي
مدركاً أنهم لم يفيدوني بشيء.

بقيت في مقهى جالساً وقابضاً حافة الطاولة
مُتناسياً النسيم شبه الساحر الذي بدأ بالهبوب
رافضاً أن أستسلم لثرثرة
رجال المال وهم يخططون لمستقبل
بألسنة عديدة، رافضاً النحيب.

رباعية لحب السماور

أحب كلمة «سماور» وأحب
أن أقسمها لشطريها: «سما»
الذي يقصد النفس، و «ور» التي تحرقه. بسرعة
أرجع لقساوسة بوذيين، نار بلون الزّعفران
تلعق أثوابهم الزعفرانية
كأن انتحارهم نوع من الفن. كَنَّاسٌ
يأتي بعدها ليجمع بيديه آخر ذراتهم.
ورود بيضاء ومزامير تقود جنازاتهم
إلى حجرة باردة حيث رماد القساوسة
محفوظ في قارورات شفافة من الكريستال.

أحب كلمة «سماور» وأحب
قافيتها مع «*tzar*» موحية بـ«نيكولاس»
في أيدي «البولشفيك»، يوم مقتله،
غبي، عنيد، قابض على ذراعيّ كرسي
يمضغ ما تبقى من سيجار.
وابنه المريض الذي
ذات صباح، مدعياً أنه فلاح،
يضع حجراً من السكر
بين فكيه وينتظر لساعات
ممرضته الشابة وفنجانها المسموم.

أحب كلمة «سماور» وأحب
الدبلوماسي، خالي الذي أهدانا واحداً
من «موسكو». قال: «هذا أفضل ما يصنع الروس، هذا
والقنابل الذرية». من شرفته
في الإسكندرية، يداه قابضتان
على فنجان، يتأمل الشارع، يفكر
في زوجة رمادها مندثر في سيناء. وأخرى
في جاكرتا، أبناء في الدانمارك، وابنة
في مدراس. يتنهد، تعز عليه نفسه
أن يكلمهم، أن يذهب لهم هناك.

أحب كلمة «سماور» وأحب
القبعات، مثل التي أحضرتها أمي
من مكة، لبستها في الفجر
للصلاة. والـ «فيدورا» التي أهدتها لي حبيبة
لأن وجهي يناسب لونها الأخضر الزيتوني.
والقبعة التي أَخفيتِ وجهكِ تحتها طيلة صيف
والمرّات التي أردت أن ألمس شعرك
والمرات التي أبقيتِ يديَّ مضطربتين في الجيوب.
كم أحب اختفاءك الآن، وارتباكي
و الكلمات التي ماتت على حافة الأسنان.

مرثية نيل أبيض

صيف وامرأة تنزل زيرها للنهر. تستحم
و تغني «لما». سنين تمر وأنا متعب.
شارع يمتد أمامي، أزقة وفرص
وبطاقات للتعارف. الأسبوع الماضي
أخذت الزهور من المزهرية. قطرت
فروعها على الأرضية الخشب.

و ضعت كل زهرة في ركن من البيت
و سألتهن: أعرف أنكن تردن الرجوع معاً
أقنعنني لمَ؟ وأقنعني قارئي العزيز
أنه لم يكن هناك نهر حيث عشت، أن امرأة
لم تكن، أن اسمها لم يكن زينب.
اخبرني لمَ لا تصدق الشارع والأزقة
والرجل الذي عرض عليّ قنينة خمر
أو فتاة أو صبياً. العاشقان اللذان
رأيتَهما متعانقين تحت سقف من القش، من كانا؟
ركِبنا فرسينا طيلة اليوم،
فسحة ظمأى وغبار متعب
لا يصل حتى أقدامنا.
كنا سنلتقي في الجهة الأخرى
من الوادي. هسهس الشجر. تثاءبت
الضباع. طيور فوقنا مستاءة.
كان عطشنا أشد من أن نستنجد بأحد.
ملابسها ما زالت معلقة على الشجرة.
الزهور الآن ناشفة
و متجعدة كقشور السمك.
عندما ذهبنا تيقنت حينها
أن علي أن أصنع كل الأماكن
التي أزورها. ذلك اليوم
في أثينا – مضطرب، ومخدر بتعب
الوصول – كنتُ شبحاً عندما رأيت
عجوزين يتعانقان ويمسكان بأيدي بعضهما.
رأيت امرأة اشترت نصف رغيف خبز –
و هذه هي الحقيقة – انتظرت
أمام الدكان لأرى
من سيشتري النصف الباقي.

*** شاعر ليبي يقيم في أمريكا ويكتب بالإنجليزية والقصائد من ترجمته.**

أشجار الكلام

سعيد ياسف*

الشَّهيدُ

(1)

هذه المرَّة
كما لو أنّهُ
اقتفى دهشةَ الأنبياء
منتعلاً غبارَ المسافة.
لحّنَ بالخطوِ في الأذهانِ
إيقاعه.
شدَّ الأوتارَ
ولم يَعزف.
وعلى حافّةِ الوقت
وقف
ألقى السَّلامَ
ثم انفجر ...
كأنَّ الموعدَ داهمه.
تُرى : هل سيسمّع تلك الأغنية؟

(2)

حين أَزهرتْ أشجارُ الكلام،
كان سيبوحُ بالذي تكبَّده،
لولا هذه الحروف
التي كلّما استجارَ بها
تَضيق.
أيّة لُغةٍ هذه التي غَرَّبَتْهُ ؟
لم يكن ثَمَّةَ قربَه
سوى الوَداع.
الوداع من خَابية المعاني
يَ..تَ..قَ..طَّ..رُ.

لأنّي راحلٌ

لأنّي راحلٌ هذا المساءَ
إلى صمتٍ يخضّبُ كل الجهاتِ
وتنعْقُ ريحُهُ في خرائبِ العزلةِ.
أُصيخ السَّمع للْموج
وَهو يَعفِرُ سراديب الأَحْزانِ
حيث لا قاربٌ يغيثُ الغرْقى
ولاعينٌ تودّع موغلاً في البعدِ.
أندسُّ بين رُكام المنْجرفين
وأطلُّ
فهذه أرضي
لم تخلقْ لغيرها
تلك القممُ والبساتينُ
وتلْك الأنهارُ
التي ألقت إلى البحرِ نبوءةَ رحيلي،

لطالما وقفتُ بضفافها
فعلقتْ في المدى انتظاري.
بأنينٍ أخطُو
وفي الخطو رائحة الصبَّار.
إلى أين ستأخُذُني عُكّازتايَ ؟؟
ربمَّا إلى مكانٍ أبْعد من الصحراءِ!!
أكادُ أصيح في الفراغ الممتدِّ
ولا يستجيبُ في اللغةِ صوتٌ.
بشقاوةِ الطِّفل
الذي بحدقتيهِ يستقرُّ السُّؤال
وكنخلٍ مكابرٍ
أرتقي السُّموَّ الذي أشتهيه
لأرى لآخر مرّة
ميلاد الظّلمة واشْتعال الأنجم،
هذا السِّرُّ الأزلُ.
أصعدُ...
عالياً إلى السماءِ اصعدُ
كماءٍ يلهث خلْفَ مثواه
لأرى كلَّ الصِّفات التي ستغلَق في وجهها المْرايا.
ولأنِّي بلا تاريخ
ولا حقائب
سأرْحلُ هذا المْساءَ
كزعيمٍ خذلتهُ القبيلةُ
فلنْ أضيفَ للهزائم مرثيَّةً.
أودع الشَّمْس بأسفٍ مرٍّ
وبمرارةٍ أكثر أحتسي الشَّاي
وأحدِّث الأطفالَ
عنْ برجٍ في الأسوارِ تسكنُه أنثايَ
عنْ صور لها في الخشب
نقشْتُها على السَّواري

عن صوتِ الأبْواب تفْتحُها الرِّيحُ للْغُزَاة.
أَخْتلقُ حُروباً لا تُسمّى
منزَّهةً عن الدِّماء
ولأكون استْتثناءً في ماضيهم
أُحدِّث الأطفال ليناموا
وأدْخلُ في ليلهمْ نصراً وغنائم،
حتَّى إذا ما كبرتْ تحت العباءات
أحلامُهُمْ
تذكَّروني.

حَمَّال اليَقين

(1)

الذّين خبّأُوا القمر في أعينهم وناموا
ارتجلوا للهزيمة أمكنةً ملغومة
لمَّعوا أسرجة خيلهم
وأضاؤوا لها في اللّيل الفوانيس
وألقى الشَّاعر فيهم نبوَّة الخسارة.
ما كان لأحد منهم أن يصمّ أذنيه تلك الخطيئة الأولى؛
انتكاس بيرق النَّصر.
وقتها
كان الشَّاهد القمر ملثَّماً بغيم
ملم يُعرف له في التَّاريخ تأويلٌ.
كانت لهم في الريح التّباشير
مؤقَّتة
وغبار حجاب،
منه العدوُّ يُداهمهم.

(2)

أخفُّ من شعر نسائهم
هواء الصَّيف يغزو جهاتٍ
خانتها الشَّمس طويلاً
كان لهم فيها متكأ.
الذين توَّجتهم الخديعةُ
قبل أن يُخلعوا
من عرش الرّغبة.
الَّذين كلَّما اصطادوا ظلاًّ تمدَّدوا
لم يخطئ الشَّاعر فيهم، البارع في التَّربُّص، حمَّال اليقين.
هو من أدركت خطاه أرض وهمهم حين رأوا في الكأس الفرح،
أحرقت أنفاسه ما تبقَّى من القصائد.

*** شاعر مغربي يقيم في الجديدة .**

الفتى "جينين"

عمر شبلي*

ما دمتَ تصعدُ صوبَ الله مثلَ نبي   فإنَّ جُرْحكَ فوقَ الشكِّ والريَبِ

ما دمتَ تصعدُ لا شاهاً ولا ملِكاً   فأنتَ أجْدرُنا بالتاجِ واللقبِ

«جينين» ماعادَ يجدي غيرُ مقصلةٍ   لكلِّ ذي لقبٍ فينا وذي رتبِ

ما دمتَ تصعدُ صوبَ اللهِ محتسباً   فإنَّ جرحَك معصومٌ، وأنتَ نبي

«جينين» أنتَ جنينُ النارِ فالتهبِ   لم يبقَ غيرُك في الأرحامِ من عربِ

إنّ الذي قد تهاوى من كرامتنا   يقومُ ثانيةً من ربعكَ الخَرِبِ

راموكَ مرتحِلاً قسراً فقلتَ لهمْ   إنّ البيوتَ قبورُ الفتيةِ النُجُبِ

«جينينُ» أيُّ حريقٍ رحتَ تشعلهُ   وأيُّ أبنائكَ استأثرتَ للحَطبِ

مثلَ الصواعقِ ينقضّونَ من دمهمْ   على الحديدِ، ويغدو الموتُ كاللعبِ

حبُّ القضيّةِ، لا حقدُ الشظيّةِ ما   يحدّدُ الفرقَ بين الصدقِ والكذبِ

«جينينُ» لا تبعدنَّ الآنَ واقتربِ   فروعةُ الدربِ أن يغريكَ بالتعبِ

تظلُّ تنزفُ في زهوٍ وفي عجبٍ   كأنَّ موتكَ مقرونٌ مع الطربِ

وإنْ تعثّرتَ لا زهواً ولا عجباً   فاخلعْ رداءَ الردى وابحثْ عن السببِ

لم يبقَ عندكَ إلاّ أنتَ فانتصبِ   واصلبْ عدوّكَ يا «جينين» وانصلبِ

رميتَ باللحم «ميركافا» لتقتلَها   ولو رميتَ بغيرِ اللحمِ لم تُصبِ

ما كان سيفُك إلا لحمُك العربي   فاشْحذْهُ ثمّ بما يعطيكَهُ اختضبِ

بما تقوّض من ناسٍ وأبنيةٍ   قوّضتَ ما شيّدَ الباغونَ من كذبِ

هذا الدمارُ الذي من صمتهِ اختلجتْ   حجارة الله لن يبقى بلا صخبِ

«جينينُ» لا تقبلِ التقصيرَ من عربي   ولا تُصَلِّ لمن ماتوا بلا سببِ

لا تقبلِ الموت بالأقدار مرتهناً ... بالموتِ قد يَصِلُ الإنسانُ للأربِ
يا صرخةَ الأمةِ الموتورِ خندقُها ... يا وجهَنا المرتجى يا رمزَ كلِّ أبي
يا شاهرَ الجرحِ في وجه الشظيّةِ يا ... جيلاً بأشلائه استعصى على النُوَبِ
يا صرخةَ المتنبي في قصيدته ... وعندما حدّثتْه النفسُ بالهربِ
أُخرجْ عليهم، وحاذرْ أن تكونَ لهمْ ... واجهر بلحمكَ، إنّ الخوفَ في الحُجبِ
جسّدتَ ما كانَ في أعماقنا حُلماً ... ويومَ صايحتنا للروعِ لم نجبِ
فاعبرْ بموتكِ هذي أمةٌ عبرتْ ... بموتِها موتَها في أحلكِ الحقبِ
عانقْ مماتك، أو عانقْ حياتك لا ... تخشَ المسافة بين النارِ والرُطبِ
بلادُنا يا قسيمَ النارِ ماخلعتْ ... في البردِ صاحبَها والحرِّ والسغبِ
ملأى بموتٍ جميلٍ لا اضطرارَ به ... إلاّ لعينيكَ يا «جينين» يا ابنَ أبي
«جينين» حدّثْ وبعضُ القولِ عاصفةٌ ... تهبُّ من جرحك الدامي على العربِ
وفي حطامكَ ما يلغي صياصيَهم ... هل يبتني الحصنَ إلاّ صاحبُ الرعبِ؟
إنّ الشظايا الصبايا في مرابعكم ... فلتحضنوها احتضانَ العصفِ واللّهبِ
سيدركون على أجساد فتيتنا ... أنّ «الجليلَ» وإنْ طالَ الزمانُ صبي
والنهرُ يبكي كما لو كانَ من دمهمْ يسيل، النهرُ مثلُ العمرِ لمْ يؤبِ
يا برقُ أومِضْ قليلاً كي نواريَهم ... وامسحْ جبينَ الفتى «جينين»، في أدبِ
سالَ الزمانُ كما سالتْ دماؤهُمُ ... ولا يزالونَ كالأطلال في التربِ
شابتْ جدائلُ «رام الله» وجارتُها ... وحقدُ أبنائها كالليلِ لم يشبِ
هُمُ يغوصون في «الأقصى»، وقربَهمُ ... يغوصُ في دمهم (شارونُ) للرُكَبِ
بحاجةٍ أنتَ يا «جينين» كنت إلى ... مساحةٍ تَعدُ الأطفالَ باللَّعِبِ
ما أوجعَ الطفلَ لم يرجعْ من اللعبِ ... وأوجعَ النصلِ لم يخرج من العصبِ
للأمهاتِ مناديلُ ممزقةٌ ... وللعصافير أن تحنو على الزُغُبِ
ويا ابن من ليسَ في أكواخهم حطبٌ ... هيّا اشتعلْ ثمّ دفّئْهمْ على اللهبِ
تفاءلتْ قبلُ أشجارٌ وقد ذُبحتْ ... لكنّها عن عناقِ الشمسِ لم تتبِ
وعندما تفقدُ الأشجارُ قدرتَها ... في مُلْكِ أغصانها تغدو من الحطبِ
وحينَ يعجزُ طيرٌ عن تملّك ما ... له من الريشِ لا يخشى من العطبِ
وعندما تذهبُ الأرضُ الجميلةُ من ... يديكَ تصبحُ ذئباً رائعَ العطبِ
يا أهلَنا تحتَ «رام الله» و «نابلس» ... وفوقَ «بيسانَ» و«الأغوار» و«النقبِ»
ستقتلونَ مراراً، إنما دمكمْ ... يعود ممتلئاً بالنصرِ والغضبِ
غداً تقومون لا فيلٌ و «أبرهةٌ» ... إنَّ الغزاةَ حديثُ الريحِ للسحبِ

جيلٌ ويمضي، ونبقى الأوفياءَ له … والموتُ كالعيش ذو قربى وذو نسبِ
بلادكمْ لم تعدْ سجناً لصاحبكم … هُمُ المساجينُ رغمَ الجحفلِ اللجبِ
إنَّ الشظايا الصبايا في مرابعكم … فلتحضنوها احتضانَ العصفِ واللهبِ
يرون أوجُهَكم في كلِّ ناحيةٍ … في غرفةِ النومِ، في الباصاتِ، في الرحبِ
هي الجنازةُ والرؤيا لصاحبكم … هي المسافةُ بين النارِ والعشبِ
وأيُّ سرٍّ من الأسرارِ يسكنُ في … هذي الشظايا التي قالت له: انجذبِ
معنى لموتٍ سواكم ليسَ يدركهُ … ما بينَ مقصلتَيْ والٍ ومغتصبِ
قيدٌ علينا وقيدٌ يستبدُّ بكم … وبينَ عمرين يمضي عمرنا العربي
يا للعروبة تُستنخى، أما سئمتْ … من رؤيةِ الكوكبِ الغربيِّ ذي الذنبِ
«حبيب» قد قالَ من ألفٍ لِـ«معتصم» … «السيف أصدق إنباءً من الكتبِ»
من ألفِ عامٍ، وأهل التيهِ في دمنا … والجوعُ في أرضنا والعقمُ في السحبِ
لا يُرتجَى الحبُّ ممن لا جراحَ به … ولاعلاجَ لمن قد شاخ وهو صبي
والمستعيرُ دماً يوماً سوى دمه … لا يدركُ الفرقَ بين الجدِّ واللعبِ
ما للنساءِ يفجّرنَ الجمالَ وما … للجالسينَ على الكرسيِّ كالخُشُبِ
وآنساتٍ يلبّين الخطوبةَ قدْ … عملنَ «مكياجَ» لكنْ من دمٍ سَربِ
ويومَ ذاتُ سوارٍ فجّرتْ دمها … سيوفُ أعمامها كانتْ من الخشبِ
أينَ النواطيرُ، والأوطانُ سائبةٌ … ناموا، وقد بشموا من تخمة الخُطَبِ
متاجرون بموتٍ، نحن نعرفهم … ونحن نُقتَلُ بين العرضِ والطلبِ
إرفعْ حطامَك مرثاةً لأمتنا … تلك التي أصبحتْ خرساءَ كالنُصُبِ
تيتّمت يومَ صارَ النفطُ والدَها … وأصبحت أمَّها صرّافةُ الذهبِ
بالأمسِ كانت على قطبيْن دائرةً … واليوم تغفو بلا حسٍّ على قطُبِ
ألا تقوميَن يا أنثى بلا رجلٍ … قتلْت كلَّ بنيكِ الصيدِ، فانتحبي
لكننا سوف نلغي الموتَ يا امرأةً … دروبُنا لم تعدْ عذراءَ فاقتربي
أعطي لنا فسحةً حتى نقومَ به … فالدمُ يحتاجُ بعضَ الوقتِ للحَلَبِ
ويلُ الشعوبِ إذا ما قادَ «ندوتها» … لبدءِ معركةِ الرؤيا «أبو لهبِ»
وليسَ من قتلَ الرؤيا كصاحبها … شرُّ السيوفِ الذي يلغي فمَ الكتبِ
لأنَّ وجهَ «يهوذا» حاضرٌ أبداً … يظل جرحُ «يسوعٍ» غيرَ محتجبِ
يا قدسُ أحلامنا غرقى محطّمةٌ … وسادةُ القومِ فينا أعبدُ النشبِ
زيتونةُ اللهِ ما ألغتْ مواسمَها … لأنها شجرُ التاريخِ والكتبِ
وربَّ مقبرةٍ تجتاحُ عاصمةً … بما حوتْ من رفاتِ الفكرِ والأدبِ

ما بالُ أغصانِها حمراءُ داميةٌ
وزهرةُ الحبِّ يا أختاهُ داميةٌ
هزّي إليكِ بجذعِ النارِ سيّدتي
هزّي إليك بما قد ظلّ في دمنا
هزّي إليك بأنقاضِ المخيّم لم
أحنّ للقدسِ مهما امتدّ بي سفرٌ
وسوفَ تبقى بحجمِ الكونِ يا وطني
حبي الذي حملَ الرؤيا لأمتهِ
ولا تسلْني لماذا لم يثرْ عصبي
قد صادر الدهر مني كلّ أمنيةٍ
تقاسم الموتُ والمنفى دمي وفمي
أهتزّ من جدثي في كلّ عاصفةٍ
لأنّ جرحكَ يا «جينين» جرح نبي
لا بدَّ «جينين» والفجرِ الذي سرقوا
لا بدَّ عائدةٌ أمٌّ بدمعتها
لا بدّ «جينين» يوماً أن تؤمَّ بنا

وأمسِ قد شربتْ من أكرمِ السحبِ
تفوحُ أشذاؤها من جفنكِ الخضبِ
تُلقّحي العرشَ والكرسيّ باللهبِ
من الحياء وهزّي أمةَ العربِ
يتركْ لك الموتُ غيرَ الحربِ والحَرَب
مثلَ الحنينِ إلى الغاباتِ في القصبِ
تسير فيَّ فأبقى غيرَ مغتربِ
يمتدُّ من «أم درمانٍ» إلى «حلبِ»
لقد نزفتُ إلى أن جفّ بي عصبي
تعالَ نملأْ جرارَ الصيفِ بالعنبِ
قسيمُ ناركَ، لكنْ غيرَ مكتئبِ
ويرسم الدربُ قوسَ النصرِ من تعبي
فسوف تغلبُ من قالوا لكَ: انغلبِ
من أن نَحُوكَ لهم ليلاً بلا شُهبِ
ويا لحديثٍ عن الأطفال واللُعبِ
وقد توَضَّأ هذا الجيلُ باللَهبِ

*شاعر لبناني يقيم في قرية الصويري.

مخاطباتٌ في كُهوفِ الرُّوحْ

كفاح فنّي*

المخاطبةُ الأولى :
أولُ الفيضِ جنونٌ

كانَ كوناً كاملاً في كُنْهِهِ
وحين استنارْ.
قالَ: الماءُ طريقةُ قلبي،
والبابُ ظلُّ سؤالٍ، أفتَحُهُ كي أرى الحديقة،
فيحدقُ فيَّ الجنونْ.

المخاطبةُ الثانيةُ :
صوتٌ في رأسي

حيناً تُقَدِّدُ المرآةُ ضحكتَهُ،
وحيناً تهذي اسمَهُ الرحبْ،
يكتبُني من شغفِ البابِ لما يحجبهُ
طقوساً في دورةِ الهباءِ العناصرْ،
ويقولُ في أذني:
إن روحيَ حقلُ قمحٍ لا ينضجُ أبداً،
وإن ذاكرتي رعويةٌ،
لا ترَ اللذةَ في خياناتِ البلاطِ

ولا تنتبهْ
لتفاصيلِ الزُخرفةْ.
– أجرَعُ كأسَ السُّمِّ منها، يدكَ التي كانت مكامنَ صيدِ نمورٍ في الغاباتِ الزرقْ.
لا تبحثْ في الشعرِ عن المنفى كي تُصدِّقَ أن الحزنَ خارجيٌ، لا تُصدِّق أن البلادَ الغريبةَ تحبُّ الغريبَ، وأن الدروبَ التي أوصلتكَ النهرَ تُفْضي إلى آخرِ بابٍ في سرايا النصْ.

المخاطبةُ الثالثةُ :
الموتُ وصولٌ آخرْ

لا تُباعدْ عن خُطايَ خطاكَ،
وعدْ إن شئتَ على شكلِ الرحيقِ غباراً،
أو على لونِ السوادِ غراباً،
أو كنايٍ
يهبطُ الإيقاعَ مغروراً
بالقوى التي تأتي من فراغٍ
في رؤاك.

كم مرةً رآكَ
هذا الموتُ،
ولم تمتْ إلا مجازاً
حين تُبَدِّدُكَ نواياكْ؟!

لغةُ الشكِّ تحاولُ شكلاً
من صيرورةِ الجسدْ،
تحملهُ القَطاةُ
إلى فراخها ديداناً
أو أياً يكنْ،
هو الشكلُ الفجُّ
للاستمرارِ بعدَكْ.

المخاطبةُ الرابعةُ:
سؤالُ الحَضْرَة

أهجرتَ زوجكَ
كي تؤنسَ الخطيئةُ بردَ القديسِ الذي يقرأُ فيكَ خُطاكْ؟
أرأيتَ رؤىً غيرَ رؤاكْ؟
وتبعتَ خطى الوهمِ إلى صندوقِ الروحِ هناكْ،
تأتمرُ فراشاتُ الأبعادِ بعلاماتِ السحرِ هناكْ،
وتنكصُ عن الخطوةِ الأخيرةِ في فيروزِ النشوةِ
مرآةُ أناكْ،
ترقصُ في الفيضِ الكاملِ بين السرِّ وسربِ النملِ،
تقولُ: اللهُ اللهْ .
من إناءِ الزهرِ
يُناجيكَ،
تُحدّقُ فيهِ
يُحدقُ فيكَ
وتسألُ: هل هذا الفراغُ الذي يملأُ الكلَّ؟
أم حُواءُ ستملأهُ عمّا قليلٍ أيُّ امرأةٍ؟

المخاطبةُ الخامسةُ :
ما قاله لي ترسياس

أعمى ودارَ مدارَ السرطانِ،
القلبُ مسافةُ عتمٍ،
قالَ،
والعقلُ تراكمْ.

فليسقط سيلُ الضوءِ الأحمرِ من أقصى اليمينْ،
وليسقط الأصفرُ من أقصى اليسارْ،
وبينهما أنا البهلوانُ الأعمى،
أرقصُ عارياً

لأطردَ اللغةَ من المعنى إلى الشكلْ.

أبكي حينَ يحتلُّ الفراغُ فمي،
و أضحكُ حين يلعقُ دمُه الأسودُ دميْ.

وأنتَ، أيها الواقفُ في البعدِ الرابعِ،
أحياناً عليكَ أن ترمي سهامَ
الكلامِ عليْ،
وعليكَ أحياناً أن تقودَني همساً من يديَّ
إلى كلِّ الجهاتْ،
عليكَ أن تُعرِّي المسافاتْ،
أن تعيدَ الحضورَ إلى حظيرةِ الانتباهْ،
أن تطرقَ بابَ الله،
كأنكَ الكونُ في الدرعِ النحاسِ
تسألُ عن نبيٍّ مُنتَظرْ.

المخاطبةُ السادسةُ :
كلُّ ماءٍ أصلْ

تعودُ عادتُهُ بالصمتِ من نجمةٍ تطلُّ على تلِّ عُمره،
تعودُ عادتُهُ بالقولِ من هاجسٍ يأتيهِ أمامَ الورقةِ الفارغةْ،
وعندما يتلعثمُ بالشفافيةِ
يتذكرُ: كل ماءٍ أصلْ.

روحُهُ معمارُ مدنٍ مفقودةٍ
وخطى عينيهِ
ضاعتْ ببرٍ تسكنهُ أرواحُ ضحايا
يرقصنَ رقصاً مُراً.
دليلهُ تأتأةُ لغاتٍ
والخوفُ داخلَهُ فانوسٌ يُلقي عباءةَ الأبعادِ خارجَهْ.
تكوينُ هشٌّ لألوهةِ الفذْ.

من صورةِ النارِ في البلورِ
لونٌ للشبهِ الدقيقِ بينَ روحٍ وروحْ.
وحينَ تنفكُّ الحقولُ من وسمِ المسافةِ
تصفو العبارةُ من كدرِ الذاكرةْ.

– فكرةٌ أولى –
انظر، يداكَ حمامتانِ بريّتانِ في طقسٍ غائمٍ
– فكرةٌ أخرى –
فوضىً تشيعُ بالأطرافِ خدراً أخضرَ
علامةَ الرؤيا.

المخاطبةُ السابعةُ :
حين تُلقي حجراً في بركةِ صمتْ

أزرقُ،
أبرق الضوءَ في نهاياتِ المرايا، لا يمسّكَ غبارُها
حُكَّ بجلدِكَ الحجريِّ ثدييها الحريريينِ
وانجُ بمهرِ روحِكَ
حينَ الإيقاعُ أزرقْ.

موجةٌ،
الحزنُ عتمٌ يصعدُ من قعرِ روحِكَ
والريحُ خمسونَ باباً، للحبِّ أولُهَا،
اتركهُ وانفذْ سهماً من خصرِها الداكنِ
واترك اسمَها السحريَّ رمزاً على ظهرِ موجةْ.

تتعبُ
من شظايا الحبِّ حينَ تنوي الفراقَ،
تتعبُ من بقايا الخمرِ حين يبدأ الصحو،
تمشي ليلتينِ، تزورُ ثلاثَ نساءٍ تعتبنَ الحمامَ الذي يرفُّ في ذهنكَ
من نوايا القلبِ القَلوبِ تتعبْ.

جرسٌ،
الكتابةُ وعدٌ فلا تذهب بالعتَبِ إلى القلبِ
ولا من حطام الروحِ تكتبْ،
حدِّقْ بالظلالِ التي ترقصُ على إيقاعِ الشمعِ
وانتظرِ الجرسْ.

مختلفٌ،
الحنينُ غامضٌ لغامضٍ،
وعليكَ أن تحتملَ الفصامَ الذي يوشك النطقَ فيكَ،
وعليكَ لغةٌ للنخيلِ الغريبِ،
دخلتَ من بابِ الصلاةِ فابحثِ الآنَ عن أرضٍ لإيقاعٍ مختلفْ.

قصيدةٌ
وفي القصيدة سماءٌ تسقطُ منها
لتعيدَ الصياغةْ،
وحدي أحتكُّ بالأخضرِ المستورِ فيكَ،
لتُمسكَ خيطاً من فوضى القصيدةْ.

المخاطبةُ الثامنةُ :
حلمُ الحلم

وأنتَ أيها التائهُ في حلمِ الحلمْ،
أعطتكَ زوجةُ «ماكبثٍ»
زهرةً حمراءَ
وقبَّلَتْكَ في فمكْ.
قالت: رأيتُكَ تصعدُ هاويتي
فأغويتُكَ بالظّلمات دخولاً
نشبةُ نايات خُضْراً في حلقاتٍ زرقْ.
كنْ رأسَ البروقِ التي تشرحُ عتمَ رحمي،
وفسرني من غربةِ الأحياءِ في عالمِ الموتى.

ناديتكَ لا تُسرعْ نحو مداكَ
الجوُّ أزمنةٌ ومساحاتٌ
أنتَ رؤاهُ إذا وازنْتَ بينَ وهمٍ ووهمْ
ذابتْ ثلوجُ اليقينِ والتقنيةْ.
قلتَ لها.
ضوءُ الممرِّ خافتٌ،
ضوءُ النهايةِ ساطعٌ،
التقيتُكِ بالمنتصفْ،
عباءتُكِ الصفراءُ تحتَ قنديلٍ أحمرَ كأنما مدخلٌ لحياةٍ كنتُ بها،
كنتِ في قبيلةٍ سوداءَ ترقصينَ وتُبدِّلينَ أقنعةً،
حولَ نارٍ قربَها جثةٌ تشبهني،
صوتُكِ ينيرُ كشعلةِ مصباحٍ شحيحِ الزيتِ،
قرأتِ من مخطوطةِ سحرٍ،
لم أميِّزِ اللغةَ،
لكنها كالنورِ تأتي المعرفة:

تفتحُ البابَ، تحدقُ في حديقةِ الرخامِ،
تُغلقُ البابَ، تنهشكَ مخاوفُ قلبكَ
تنمو في الظلِّ نواياهُ لتقولَ لكْ :

« لا أريدُ فجراً من النعشِ
لكن لوحاً للغريبِ الذي فيكَ مرْ،
لا تسَلْهُ عن أهلٍ وسهلْ،
جاءَ من حزنِ فقدٍ، ربما،
أو من زمانٍ لم يَحِنْ،
أو يحنُّ إلى مكانٍ لم يكنْ»
«لا أريدُ نعشاً من الفجرِ،
صدوراً أدخلُ النارَ
وأبدو ككوةِ ضوءٍ في آخرِ النفقْ.
لا أنفي المكانَ
كانَ الزمانُ هو الأشباحُ التي تسكنُ اللغةْ

كانَ يعني انتهىْ.
والآنَ زمانُهُ مُلكهُ وحدهُ الفرحْ.
كُلاًّ أعودُ كلما عبرتُ التجربةْ،
صفراً أصيرُ كلما أغوتني التجربةْ.
أتيتُ من غربةِ الأشياءِ في الوعي
ذاهباً على جسرِ الوجودِ إلى حيثُ التكملهْ»

من ومضةِ دمعٍ بعينكِ اليسرى
دخلتُ الأرضَ الحرامْ.
حينَ يحلمُ الحلمُ،
تنتهي اللغةْ...

المخاطبةُ التاسعةُ :
في وادي الكلامِ مع الذات

أجيبا خليليَّ،
ماذا تركتُ لنارِ الجنِّ في قعرِ وادي الكلامِ،
أقولُ : اسمي من عطشٍ يمشي لعرشٍ فوقَ طفولةِ الريحِ في صيفِ خرابةٍ
لا ينْمو منه قمحٌ،
لا تَدْنو منه مغفرةْ.

المخاطبةُ العاشرةُ :
تَلَبّسٌ نبوي، أولاً

مداهُ الفلُّ، وأولهُ النارُ بقبسٍ يأتيهِ نبيٌ أخرسْ،
يجربُ في الوحي تجاربَ القولِ:
(كلُّ هوَ اللهْ). (لا نعشَ يخفي وصاياهْ). (ولا عدمٌ يوافي خلقاً رآهْ). (ابنهُ الموتُ بابٌ ليكتشفه الجزءُ في تيهِ خطاهْ). (مرايا صقيلةٌ نفسهُ التي فيها يراهْ) .

استعادَ من خوفهِ جوفَهُ، وانضوى على البابِ بهاءً فارغاً من الشعورِ، يحاولُ بالماءِ كفافاً مستحيلْ.
لم يرَ يديهِ تعدانِ خيانةً، لكنَّ البحرَ يتبدى تحتَ ملامحهِ حين يكابدُ أوجاعاً .

المخاطبةُ الحاديةُ عشرة :
للغرقِ زوايا مالحةٌ بالموجِ العذبْ

أسرِعْ
خوفُكَ يأكلُ من خيلِكَ
والحبرُ وعيُكَ،
أعياكَ مُحاقاً بالطرقاتِ المهجورةِ، تتركُ أثارَ الفكرةِ، تبحثُ عن نبعٍ أصفى.
قلتَ برحمِ الماءِ المعتمِ كنتَ، ولم تنجُ من سطوةِ روحكَ إلا بعمامتكَ الصفراءْ، علقتَ على الغيمِ وجهكَ جوعُ نوارسْ. لم تأبهْ للصيفِ الماطرِ في محرابِ الكونِ، ولا لرسائلِ صوفيا التي رافقتكَ في «الأوديسةِ» الأولى... لم تأبهْ إلا لعينيه اللامعتينِ على حدِّ الماءِ، سيغرقُ هذا الكونُ لغاياتٍ في نفسِ الله ونفسِكَ،
يغرق.
إما أن تدافعَ عن الهباءِ الذي يملأُ أناكَ
أو أن تعودَ من سطورِكَ صافياً
كالبحيرةِ صافياً،
حينَ الطقسُ صافٍ،
قالَ وكرَّرَ،
حينَ الطقسُ صافٍ،
تحلمُ أحلامَكَ الأولى،
ويهربُ من وحيهِ الذي أوحى فيكَ إليكْ
سمَّاكَ الأسماءَ ماؤها
تسفُّ تراباً
وتحاولُ صياغةً أبعدْ.

المخاطبةُ الثانية عشرة :
صوتُ الغابةِ غابةُ الصوتْ

كنا نصعدُ درجاً حلزونياً
في مئذنةٍ ظلُّها أخضرُ
حين الغروبُ صعبْ،
كنا سكارى

نصغي لأشباحِ أصواتٍ
أو أصواتِ أشباحٍ
تؤذنُ في العمقْ.

– رغرغةٌ في المدِ،
وصدىً يغلقُ أرجاءَ المدىْ -
تتعرى
واقفاً رأيتكَ تسيلُ على الظلالِ
وتختفي
قلتُ انتظرْ
إلى سطحِها تمشي الحكايا
وأنتَ ميلادٌ رَتّبَتْهُ الطبائعُ في
الخاربِ المسكونِ،
تكسرُ فيَّ الزمانَ إلى حاضرينِ
ثم تُغلقُ خلفي النفقْ.

قالَ صوتاً
من سرِّ الرّوحِ التي تثقبُ المرآةَ
توازنٌ بين حاضريكَ
«فردُ الثنائياتِ نقصٌ
والقلبُ رقصٌ في «العشرةِ آلاف حقلْ»

خطاكَ خطاكْ،
خطايَ خطايْ،
وهذا زمانٌ تقولُ فيهِ
وحدَهُ الأصلُ في المدى المقمرِ
لا يُضيءُ عتمٌ جوهريْ

أنا أخٌ لأناكَ يأخذني الكونُ
ويرميني سهاماً على غزالةِ الفرقْ.
تحلُمني لتقوى فوقَ المعدنِ الذي سيعبرُ عصرَ الذكاءِ المصطنعْ.

المخاطبةُ الثالثة عشرة :
تَلَبُّسٌ نبويٌّ، ثانياً

لم يعدْ من غَمامِ النبوءةِ ذاكَ الذي كانَ قدْ وَعَدْ،
أصلهُ رغبةٌ تضيءُ ظلَّهُ،
والشمسُ التي فيه تشربُ الكونَ ولا ترتوي.
يذهبُ كمن يدافعُ عن وضوحٍ بنفسجيٍّ في لغاتٍ آتيهْ،
ويرجعُ شاردَ الذهنِ ناطقاً في نفسهِ باسمِ الاسمِ: (أنا هو الذي كان الكلَّ، والآن نورٌ ينبعثُ من سُرَّةِ الكونْ). (رغبتي الخلقُ ولا تدرِكُني التسميةْ). (فَتَفْتُكَ منيْ). (الأرضُ التناقضُ وعيُكْ). (الكائناتُ مراياكَ وإخوتكْ). (أنثاكَ خطاكَ نحويْ). (والتيهُ أولُ المعرفهْ).

---

* شاعر فلسطيني يقيم في رام الله .